نتنياهو أراد إسقاط حماس لكنه يتجه نحو إسقاط "إسرائيل"

كتبه ديفيد هيرست | 23 ديسمبر ,2023

ترجمة وتحرير: نون بوست

بعد القصف الإسرائيلي العنيف بشكل خاص خلال حصار بيروت في تموز/ يوليو 1982، اتصل الرئيس الأمريكي رونالد ريغان برئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن للمطالبة بوقف القصف، وقال ريغان: "هنا على شاشات تلفزيوننا ليلة بعد ليلة تظهر لشعبنا رموز هذه الحرب وهي محرقة".

وخلافًا للديمقراطيين في البيت الأبيض اليوم؛ كان رئيس الولايات المتحدة الجمهوري قادرًا ومستعدًا لدعم أقواله بالأفعال، فقد أوقفت الولايات المتحدة الذخائر العنقودية وبيع طائرات إف 16 لإسرائيل.

وتختلف أرقام الضحايا المبلغ عنها في الحرب في لبنان بشكل كبير، فووفقًا للتقديرات اللبنانية، قُتل 18085 لبنانيًا وفلسطينيًا في الأشهر الأربعة التي تلت بدء الغزو، وكانت أرقام منظمة التحرير الفلسطينية هي: 49.600 مدني بين قتيل وجريح.

وفي غضون شهرين فقط، قتلت إسرائيل نفس العدد من الأشخاص، ولكنها ألحقت مستوى أعلى بكثير من الدمار في غزة.

ووفقًا لمحللين عسكريين أجرت صحيفة فايننشال تايمز مقابلات معهم؛ فإن الدمار الإسرائيلي في شمال غزة – حيث تم تدمير 68 بالمائة من المباني بحلول 4 كانون الأول/ ديسمبر – يفوق قصف الحلفاء لهامبورغ (75 بالمائة)، وكولونيا (61 بالمائة)، وكولونيا (61 بالمائة). دريسدن (59 بالمائة)، وهذا ما حدث لهذه المدن بعد سنتين من القصف.

لقد قُتل ما يقرب من 20 ألف فلسطيني؛ 70 بالمائة منهم من النساء والأطفال، في نصف الوقت الذي استغرقه إجبار منظمة التحرير الفلسطينية على مغادرة بيروت الغربية في سنة 1982، وما زالت شهوة إسرائيل للدماء لم تتوقف بعد هجوم حماس في 7 تشرين الأول/ أكتوبر.

وفي تعبيره عن المزاج الشعبي؛ قال تسفي يحزكيلي، مراسل الشؤون العربية في القناة 13، إنه كان ينبغي على إسرائيل أن تقتل 100 ألف فلسطيني. وقالت دانييلا فايس، رئيسة حركة الاستيطان الإسرائيلية، إنه يجب محو غزة حتى يتمكن المستوطنون من رؤية البحر.

الأرض المقدسة

وعلى عكس حصار بيروت أو مجازر سنة 1982 في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين، فإن القصف الليلي على غزة يتم بثه مباشرة على قناة الجزيرة.

ولا يستطيع ملايين العرب أن يبتعدوا عن مشاهدة مشاهد الرعب في الوقت الحقيقي، لقد قالت امرأة تبلغ من العمر 91 سنة في عمان بالأردن، لابنها إنها تخجل من تناول وجبتها أمام التلفزيون بينما تقوم إسرائيل بتجويع غزة؛ حيث إن التجويع الجماعي القسري ليس مبالغة.

واتهمت منظمة هيومن رايتس ووتش إسرائيل باستخدام المجاعة الجماعية كسلاح في الحرب؛ حيث إن تجويع غزة كسياسة حكومية أكدته ميري ريجيف، وزيرة النقل، التي تساءلت في اجتماع مجلس الوزراء الأخير عما إذا كان التجويع قد يؤثر على قيادة حماس. وكان لا بد من تصحيحها من قبل زملائها بأن المجاعة كانت جريمة حرب.

إن التأثير الذي تحدثه هذه الصور هو كارثة ليس فقط على هذه الحكومة، أو على أي حكومة إسرائيلية مستقبلية، ولكن على أي عدد من اليهود يقررون البقاء في هذه الأرض عندما ينتهي هذا الصراع أخيرًا.

إن الدمار الذي لحق بغزة يرسي الأساس لخمسين سنة أخرى من الحرب، فلن تنسى أجيال من الفلسطينيين والعرب والمسلمين أبدًا الهمجية التي تقوم بها إسرائيل بتفكيك القطاع اليوم. إن غزة، وهي في حد ذاتها مخيم كبير للاجئين، أصبحت أرضًا مقدسة.

تراجع الدعم للسلطة الفلسطينية

إن هناك إسرائيليون فهموا الرسالة، ومن بينهم عامي أيالون، رئيس الشاباك السابق وقائد البحرية، والذي حدد نقطة ضعف أساسية في التفكير التقليدي في الدوائر الأمنية الإسرائيلية.

فقد أخبر آرون ديفيد ميلر، وهو محلل أميركي متخصص في شؤون الشرق الأوسط، أنه في حين يرى الجيش الإسرائيلي النصر من خلال منظور القوة الصارمة – فكلما زاد عدد الأشخاص الذين قتلوا ودمر المزيد، كلما زاد اعتقاده بأنه فاز – فإن حماس تنظر إلى النصر من خلال القوة الصلبة. ومن منظور "القوة الناعمة"؛ كلما اكتسبت المزيد من القلوب والعقول، كلما كان النصر أعظم.

ويرتكب الإسرائيليون نفس الخطأ الذي ارتكبه الفرنسيون في الجزائر عندما قتلوا ما بين نصف مليون إلى 1.5 مليون جزائري، مما يشكل 5 إلى 15 بالمائة من السكان، بين سنتي 1954 و1962، معتقدين أنهم بذلك سينتصرون في الحرب. ومع ذلك؛ بحلول نهاية الحرب، كان عليهم المغادرة ومنح الجزائر استقلالها.

لا شيء آخر يمكن أن يفسر الصعود المذهل الذي حققته حماس في استطلاعات الرأي في الضفة الغربية والأردن، بل وحتى في أماكن مثل السعودية؛ حيث حاولت قياداتها عمدًا دفن الحرب من خلال إقامة المهرجانات.

وقد وجد خليل الشقاقي؛ خبير استطلاعات الرأي التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية والذي يحظى باحترام واسع، وهو ليس من محبي حماس، أن 72 بالمائة من المشاركين يعتقدون أن حماس كانت "على حق" في شن هجومها في 7 تشرين الأول/ أكتوبر، بينما أيدها 82 بالمائة في الضفة الغربية.

وفي الوقت نفسه؛ انخفض الدعم المقدم للسلطة الفلسطينية تبعًا لذلك؛ حيث وجد الشقاقي أن 60 بالمائة يريدون حله. وتؤكد سلسلة من التقييمات الاستخباراتية الأميركية الارتفاع الكبير في شعبية حماس منذ بداية الحرب، ويقول مسؤولون مطلعون على التقييمات المختلفة إن الجماعة نجحت في وضع نفسها في أجزاء من العالم العربي والإسلامي كمدافع عن القضية الفلسطينية ومقاتل فعال ضد إسرائيل، حسبما ذكرت شبكة سي إن إن.

وهذه أخبار سيئة بالنسبة لكل تلك البلدان ـ وعلى رأسها الولايات المتحدة بطبيعة الحال ـ التي تتصور أن السلطة الفلسطينية قادرة على الحلول محل حماس في غزة، وهذه ليست مجرد أرقام؛ إنه الواقع السياسي الجديد بعد 7 تشرين الأول/ أكتوبر.

وأي أحد من كبار فتح يقول خلاف ذلك يتم تحديه على الفور، واليوم يظهر الفلسطيني الكبير الطموح المنفي محمد دحلان وعشيرته وكأنه من أنصار حماس منذ فترة طويلة، وليس مثل العمود الفقري السابق لمؤامرة دولية لطرد حماس من غزة في سنة 2007 بمجرد فوزها في انتخابات حرة في العام السابق على ذلك.

الصفقة المنجزة

لكن خليفة رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، حسين الشيخ، أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، لم يلحظ بعد تغير المزاج في رام الله.

وفي حديث لرويترز هاجم الشيخ حماس قائلًا إنها خاضت خمس حروب ضد إسرائيل منذ سنة 2008 ولم تحقق شيئًا بمحاربة الاحتلال عسكريًا، وأضاف: "من غير المقبول أن يعتقد البعض أن أسلوبهم وطريقتهم في إدارة الصراع مع إسرائيل كان الأمثل والأفضل".

وتابع: "بعد كل هذا [القتل] وبعد كل ما يحدث، ألا يستحق الأمر إجراء تقييم جدي وصادق ومسؤول لحماية شعبنا وقضيتنا الفلسطينية؟"، وقال الشيخ: "ألا يستحق الحديث عن كيفية إدارة هذا الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي؟".

أما بالنسبة لتولي السلطة الفلسطينية السلطة في غزة بعد الحرب، فقد كانت هذه صفقة محسومة، كما بدا أن الشيخ يشير ضمنًا. وقال للقناة 12 الإسرائيلية إن إسرائيل والسلطة الفلسطينية اتفقتا على آلية تسمح للسلطة بتلقي الأموال المحتجزة منذ بداية الحرب.

لقد استغرق الأمر يومين كاملين قبل أن يتراجع الشيخ 180 درجة عن هجومه على حماس، وسئل كيف يمكن لزعيم فتح الذي حصل على نسبة 3 بالمائة أن ينتقد حماس، التي حصلت على 48 بالمائة من الأصوات، على أرضه.

وفي حديثه هذه المرة لقناة الجزيرة؛ قال الشيخ إن تعليقاته حول مساءلة حماس: "تم تحريفها"، وقال لقناة الجزيرة بتوتر: "السلطة الفلسطينية هي أول من يدافع عن المقاومة".

تقسيم وحكم

لقد أدى الهجوم الإسرائيلي على غزة إلى تغيير منطقة الشرق الأوسط بالكامل، كما وعد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، ولكن ليس على النحو الذي قد تستفيد منه حكومته أو الحكومات المستقبلية.

لمدة 17 سنة؛ ظلت غزة منسية أو متجاهلة من قبل بقية العالم باستثناء حروب السنوات 2009 و2012 و2014 و2021؛ حيث بذلت أمريكا والقوى الأوروبية الكبرى قصارى جهدها لتعزيز الحصار الذي تفرضه إسرائيل ومصر في عهد عبد الفتاح السيسي على غزة.

حسنًا؛ مع تدمير 60 بالمائة منها ومع وجود 2.3 مليون شخص لا يملكون منازل أو مدارس أو مستشفيات أو طرق أو متاجر أو مساجد للعودة إليها، لم يعد هناك خطر من تجاهل غزة بعد الآن.

وإذا كانت السياسة التي تنتهجها إسرائيل طيلة سبعة عشر سنة تتلخص في مبدأ "فرق تسُد" من خلال فصل غزة عن الضفة الغربية وإزالة كل احتمالات المشاركة في حكومة وحدة وطنية، فإن غزة والضفة الغربية سوف يتوحدان من جديد على نحو لم يسبق له مثيل.

لو كان الأردن هادئًا لمدة 50 سنة بعد الحرب الدموية بين جيشه ومنظمة التحرير الفلسطينية، ولو أن الانقسامات بين الأردنيين الشرقيين والمواطنين الفلسطينيين في الأردن اتسمت بعدم الثقة المتبادلة؛ فإن الأردن اليوم، الأردنيون والفلسطينيون على حد سواء، هو خزان يغلي من الكراهية ضد إسرائيل. وهناك محاولات متزايدة لتهريب الأسلحة إلى الضفة الغربية عبر حدود يبلغ طولها 360 كيلومترًا، أي أكثر من أربعة أضعاف حدودها مع لبنان وسوريا.

ويعتقد الأردن أن إسرائيل ستحتاج إلى خمسة أضعاف عدد القوات التي تواجه لبنان لتأمين هذه الحدود، ومع وجود 13 مخيمًا للاجئين وملايين الفلسطينيين كمواطنين؛ يعد الأردن أكبر مُجمع للفلسطينيين في الشتات، بحوالي ستة ملايين، وهو ما يفوق عدد الفلسطينيين الذين يعيشون في الضفة الغربية وقطاع غزة.

أشخاص يحملون لافتات خلال احتجاج لدعم الفلسطينيين في غزة، في عمان، الأردن في 1 كانون الأول/ ديسمبر 2023.

إذا كان نتنياهو، في 6 تشرين الأول/ أكتوبر، كان يتبجح بأن انتصار الصهاينة كان وشيكًا، ملوحًا بخريطة إسرائيل أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة التي محت فلسطين من الخريطة، فإن تفاخره اليوم يبدو في غير محله على الإطلاق، إذا كان توقيع السعودية على صفقة الاعتراف بإسرائيل يعتبر مجرد مسألة وقت؛ فإن اتفاقيات إبراهيم قد ذابت اليوم في المرجل الذي أشعلته إسرائيل في غزة.

نتنياهو و"لعبة اللوم"

وما هو الرأي في السعودية؟ يحتوي الاستطلاع الأخير على رقمين مذهلين لبلد يحاول زعيمه عن وعي التخلص من الأساليب القديمة، بما في ذلك دعم فلسطين؛ حيث يوافق 91 بالمائة على أن الحرب في غزة هي انتصار للفلسطينيين والعرب والمسلمين، و40 بالمائة لديهم مواقف إيجابية تجاه حماس، وهو ما يمثل تحولًا بمقدار 30 نقطة عن شهر آب/ أغسطس من هذه السنة.

واليوم، إذا قرأت واستمعت إلى ما يقوله السعوديون والبحرينيون والقطريون والإماراتيون؛ فإن الاعتراف بإسرائيل يحمل تشابهًا صارخًا مع مبادرة السلام العربية لسنة 2002، والتي صُممت الاتفاقيات لتحل محلها.

وكانت السمة الرئيسية لاتفاقيات إبراهيم كما وضعها السفير الأمريكي السابق لدى إسرائيل، ديفيد فريدمان، وجاريد كوشنر، هي جعل حق النقض الفلسطيني غير ذي صلة، والآن عاد مرة أخرى. وحتى لو وقعت المزيد من الدول على الاتفاق؛ فإن ذلك يصبح غير ذي صلة؛ حيث يتبلور القتال الحقيقي بين الفلسطينيين وإسرائيل.

ووسط أنقاض كل هذه الخطط، لم يعد أمام نتنياهو وائتلافه اليميني المتطرف سوى طريق واحد للمضي قدماً – وهو المضي قدماً؛ لا يمكنهم التراجع.

ومن أجل بقائه السياسي والقانوني، يتعين على نتنياهو مواصلة الحرب، وكذلك الأمر بالنسبة للصهيونية الدينية القومية؛ حيث يعلم إيتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش أنهما سيخسران فرصة العمر لتغيير التوازن الديموغرافي لليهود والفلسطينيين في الضفة الغربية إذا أجبر الرئيس الأمريكي جو بايدن نتنياهو على إنهاء الحرب.

وعندما سأل موقع ميدل إيست آي عن خطط إسرائيل لليوم التالي لانتهاء الحرب، أجمع كبار المحللين والدبلوماسيين الإسرائيليين السابقين على إجابتهم؛ لم يكن هناك أي شيء.

وقال عيران عتصيون، الدبلوماسي السابق وعضو مجلس الأمن القومي، إن نتنياهو كان يفكر بالفعل في اليوم التالي، ولكن فقط بقدر ما يؤثر ذلك على فرصه في البقاء السياسي، وأضاف: "من الواضح جدًا أنه أدرك بالفعل أن الأمريكيين سيوقفونه قبل أن يحقق أهداف الحرب؛ إنه يستعد بالفعل لـ"لعبة اللوم"، التي سيكون هدفه فيها هو بايدن والقادة العسكريين ووسائل الإعلام، وكما نقول بالعبرية، العالم كله وزوجته التي منعته من تحقيق النصر".

وتابع: "بالنسبة له، اليوم التالي هو استمرار الحرب بأي وسيلة، والهدف هو البقاء في السلطة".

وأشار عتصيون إلى أنه حتى بعد شهرين من الحملة، لم يكن هناك منتدى رسمي أو مجموعة من المسؤولين يخططون للحكم في غزة بعد الحرب، ولم تكن هناك مناقشات رسمية بين مؤسسة الدفاع الإسرائيلية والمسؤولين الأمريكيين في واشنطن.

سوء تقدير مذهل

وربما تنتهي الحرب تحت ضغط الولايات المتحدة، وتستمر كنزاع يتسم بضربات يشنها الجيش الإسرائيلي ضد قيادة حماس وحرب عصابات طويلة الأمد ينفذها مقاتلون يعملون في وحدات صغيرة.

لكن هذا لا يعني قيام إسرائيل بالاستيلاء على معبر رفح وإغلاق الأنفاق لمنع حماس من إعادة التزود بالأسلحة المهربة عبر الحدود فحسب؛ بل يعني أيضًا قيام إسرائيل بتوفير الإدارة المدنية لشمال غزة الذي دمرته بالكامل.

وبالنسبة للجناح اليميني؛ فإن الرهائن الذين لا تزال حماس تحتجزهم هم في حالة موت، لكن نتنياهو سوف يتعرض لضغوط متزايدة من عائلاتهم لحمله على التخلي عن حربه.

> "ميتوت حماس" أو "انهيار حماس" هو الشعار باللغة العبرية وهو هدف حكومة الحرب الإسرائيلية. وبعد شهرين من هذا التدمير، يمكنهم أيضًا تعديل هذا ليصبح "ميتوت إسرائيل"، لأن هذا هو التأثير الذي قد تحدثه هذه الحرب

إن أشباح لبنان تعود حقًا لتطارد إسرائي، فلقد استغرق الأمر 15 سنة حتى تغادر إسرائيل بعد أن أصبحت بيروت في وضع لا يمكن الدفاع عنه، لكنهم غادروا في سنة 2000. وعندما فعلوا ذلك، أصبح حزب الله القوة العسكرية والسياسية المهيمنة في البلاد.

لقد كانت هذه الحرب بمثابة سوء تقدير مذهل بالنسبة لإسرائيل؛ فضلًا عن كونها كارثة أخلاقية، فهي كارثة عسكرية أيضا. لقد منحت المقاومة شعبية ومكانة في العالم العربي لم يسمع بها أحد منذ عقود عديدة.

وحتى الانتفاضة الأولى والثانية لم تحققا نفس النجاح الذي حققته حماس في غزة خلال الشهرين الماضيين، فلقد أشعلت غزة من جديد جذوة الغضب العربي بسبب إذلالها على أيدي المهاجرين اليهود.

ومن الممكن أن تكون نتيجة هذه الحرب حالة مستمرة من الصراع، الأمر الذي سيحرم إسرائيل من الادعاء بأنها أصبحت دولة عادية على النمط الغربي. وفي ظل هذه الظروف، فإن خطر توسع الحرب سيكون موجودًا دائمًا، كما تظهر هجمات الحوثيين في اليمن على السفن الغربية التي تمر عبر البحر الأحمر.

"ميتوت حماس" أو "انهيار حماس" هو الشعار باللغة العبرية وهو هدف حكومة الحرب

الإسرائيلية. وبعد شهرين من هذا التدمير، يمكنهم أيضًا تعديل هذا ليصبح "ميتوت إسرائيل"، لأن هذا هو التأثير الذي قد تحدثه هذه الحرب.

المصدر: ميدل إيست آي

رابط المقال : https://www.noonpost.com/187295/